



e-ISSN: 2619-9114

December / Aralık 2023, Volume / Cilt 7, Issue / Sayı 2

## MUSTAFA SÂDİK ER-RÂFÎ'NİN KİTÂBU'L-MESÂKÎN ADLI ESERİNDEKİ TEŞBİH İMAJI

The simile in the book Al-Masakin by Mustafa Sadiq Al-Rafi'i

Suheyb MUHAMMEDOĞLU

Dr. (Arap Dili ve Belagatı)

[abuyahya1409h@hotmail.com](mailto:abuyahya1409h@hotmail.com)

<https://orcid.org/0000-0001-8033-5502>

### Article Information / Makale Bilgisi

Article Types / Makale Türü: Research Article / Araştırma Makalesi

Received / Geliş Tarihi: 02.11.2023

Accepted / Kabul Tarihi: 06.12.2023

Published / Yayın Tarihi: 31.12.2023

Pages / Sayfa: 185-197

### Plagiarism / İntihal:

This article has been reviewed by at least two referees and scanned via a plagiarism software. / Bu makale, en az iki hakem tarafından incelendi ve intihal içermediği teyit edildi.

**المخلص:** تناولت هذه الدراسة الصورة التشبيهية عند مصطفى صادق الرافعي، إمام البيان في العصر الحديث من خلال كتابه المساكين، الذي وصفه بأنه كتابٌ لا مثيل له من قبله ولا من بعده في باب، فهو كتاب حافل بالتشبيهات الرائعة التي قلما يخطر على بال البشر، فيجسد الرافعي من خلالها حال الفقراء ومعاناتهم، وبيان فضلهم وسعة صبرهم، رغم ما بهم من ضيق الحال وقلة المال، وحال بعض الأغنياء وحقدهم وطمعهم، كأنك أمام لوحة فنية في غاية الإبداع رسمت بريشة رسام ماهر. هدفت إلى معرفة تلك الصور التي أتى بها الرافعي صاحب الذوق الرفيع والبيان الساحر للاطلاع على أنواع التشبيهات الواردة في الكتاب وأخذ نماذج لها وتحليلها والوقوف على ما لدى الرافعي من الخيال الواسع والأسلوب الفريد في الإتيان بها وتوظيفها في تجسيد الصور المعنوية بالصور المادية المحسوسة فتكون قريبة إلى الأذهان، وقد تنوعت هذه الصور بين: التشبيه المرسل المفصل، والتشبيه المرسل المجمل، والتشبيه البليغ، والتشبيه المؤكد، والتشبيه المقلوب، والتشبيه التمثيلي، والتشبيه الضمني. كان المنهج في هذه الدراسة منهجاً وصفيًا تحليلياً قائماً على تتبع الصورة التشبيهية واستخراجها، وتحليلها وتفسيرها لإظهار أهميتها وقيمتها الأدبية.

**الكلمات المفتاحية:** البلاغة، البيان، الصورة، التشبيه، الرافعي، المساكين.

**Öz:** Bu çalışma, modern çağda belagat ilminin öncüsü olarak Kabul Mustafa Sadık Er-Rafî'i'nin, kendi alanında öncesinde ve sonrasında benzeri olmayan bir kitap olarak tanımladığı el-Mesâkîn adlı eseri üzerinden teşbih biçimini ele almaktadır. Bu, İnsanların aklına nadiren gelebilecek harika teşbihlerle dolu bir kitaptır. er-Rafî'î bu kitapta fakirlerin durumunu ve çektikleri sıkıntıları, onların zor durumlarına ve eksikliklerine rağmen erdemlerini ve geniş sabırlı oluşlarını ve ayrıca bazı zenginlerin, kıskançlık ve aç gözlülüklerini somutlaştırarak anlatmıştır. Öyle ki kendini usta bir ressamın fırçasıyla yapılmış, son derece yaratıcı, sanatsal bir tablonun karşısındaymiş gibi hissedersin. Çalışma, ince zevk ve büyüleyici ifadelerin sahibi er-Râfiî'nin kitabında kullandığı teşbih türlerini görmek için bunlardan örnekler alıp, analiz etmeyi hedeflemiş ve bu doğrultuda er-Râfiî'nin bunları ortaya çıkarmada ve zihinlere daha iyi yerleşebilmesi için manevi imgeleri somut fiziksel imgeler şeklinde kullanmada geniş bir hayal gücüne ve benzersiz bir üsluba sahip olduğunu göstermek istemiştir. er-Râfiî'nin bu kitabında kullandığı teşbih türleri şunlardır : Mufassal Teşbîh-i Mürsel, Mücmel Teşbîh-i Mürsel, Teşbîh-i Belîğ, Teşbîh-i Müekked, Teşbîh-i Maklûb, Teşbîh-i Temsîli ve Teşbîh-i Zimmî. Bu çalışmadaki metod; edebi değerini ve önemini ortaya koymak için, teşbihin imajını araştırmaya, sonuç çıkarmaya, yorumlamaya ve analize dayalı, tanımlayıcı, analitik bir metottur.

**Anahtar Kelimeler:** Belagat, Teşbih, İmaj, er-Rafî'i, el-Mesâkîn.

**Abstract:** This study deals with the simile image of Mustafa Sadiq Al-Rafi'i, the Imam of Al-Bayan in the modern era, through his book Al-Masakin, which he described as a book unparalleled before or after it in its chapter. It is a book full of wonderful similes that rarely occur to people's minds. Al-Rafi'i embodies... During it, the condition of the poor and their suffering, and an explanation of their virtue and patience, despite their difficult situation and lack of money, and the condition of some of the rich and their hatred and greed, is as if you are in front of an extremely creative artistic painting painted with the brush of a skilled painter. The study aimed to find out those images that Al-Rafi'i, the owner of fine taste and charming statement, came up with, to learn about the types of similes mentioned in the book, to take examples of them, to analyze them, and to find out what Al-Rafi'i has of wide imagination and unique style in coming up with them and employing them in embodying moral images with tangible physical images, so that they are close to Minds, these images varied between: detailed transmitted simile, general transmitted simile, eloquent simile, emphatic simile, inverted simile, representative simile, and implicit simile. The method in this study was a descriptive and analytical method based on tracking the simile image, extracting it, analyzing it, and interpreting it to show its importance and literary value.

**Keywords:** rhetoric, statement, image, simile, Al-Rafi'i, Al-Masakin.

**تمهيد:**

الحمد لله الذي علم القرآن وخلق الإنسان وعلمه البيان، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد وأوتي جوامع الكلم فبلغ الرسالة وأدى الأمانة بأبلغ بيان وأجود كلام، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن البلاغة تعد من أهم العلوم العربية؛ لأنها ميزان نقدها، وأداة جمالها، ولسان حالها؛ وهي من العربية كالروح من الجسد؛ ولها ثلاثة فنون: البديع، والمعاني، والبيان، والأخير من البلاغة كالبلاغة من العربية فهي أحد أهم فروعها؛ لأنها تهتم بإيراد المعاني بطرق مختلفة في الإيضاح؛ والتشبيه من البيان كالبيان من البلاغة أهمية؛ لذا كثرت الدراسات التي تناولت موضوع الصورة التشبيهية التي بها يجسد الأديب عما في نفسه من خواطر وهو اجس؛ وما في ذهنه من معاني وأفكار يجسدها صوراً جميلة في تعابير أدبية بليغة، وليست الصورة التشبيهية إلا أداة لتقريب الأشياء المعنوية إلى الأذهان في قوالب مادية وألفاظ أدبية، ولتجسد غوامض الأمور صورة بسيطة قريبة إلى الأفهام، ولتمكن الأديب والشاعر من طرح ما يخالجه صدره وفؤاده من رؤى بعيدة وأفكار غريبة ومعاني مستعصية على الفهم في صور محسوسة واقعية؛ فيفهمها القارئ ويتذوق حلاوتها، وهذا ما نحسه عندما نقرأ لأديب بارع ببلغ يأتيك بصور وتشبيهات؛ نلتبس فيها ما كنت تريد أن تعبر عنه؛ لكانه يعبر بلسان حالك؛ ما كنت عاجزاً عنه؛ لأنك تتذوق جمال كلامه وعباراته.

فما بالك إذا كان ذلك الأديب البارع مصطفى صادق الرافعي صاحب وحي القلم، والتصورات والتشبيهات الراقية التي قلما يخطر لأحد من البشر، يأتيك بها من حيث لا تحتسب، ويشقق لك الكلام شفاً فيأتي بألفاظ وعبارات جديدة، فهو ذو الخيال الواسع والعبارة البليغة والبيان الرائع، بحر لا ساحل له.

لهذا كله أردت أن أتناول كتاباً للأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي<sup>(١)</sup> لأبحث فيه عن الصورة التشبيهية فوقع الاختيار على كتاب المساكين- الذي كنت قد قرأته قبل مدة قصيرة من الزمن فرأيت ما فيه من فريد درر الرافعي وعجائب بيانه الذي لا طائل لأحد أن يأتي بمثله- الذي ألفه الرافعي أيام الحرب العالمية الأولى؛ ليكون كتاباً لا مثيل له من قبله ولا من بعده في باب، فهو كتاب عني بالحديث عن الفقر وأحواله؛ ليبين بأن الفقر ليس فقر المال، إنما فقر الضمير، والإحساس، وأن الغنى ليس غنى المال، إنما غنى الصبر والكرم، فكم من غني في ماله، وهو أفقر الفقراء في حاله، وكم من فقير في ماله، وهو من أغنى الناس ضميراً وحساً.

والرافعي في كتابه هذا يضعك أمام صور الفقر ومعانيه كأنك تنظر إلى لوحة فنية جميلة كتبت بيد رسام بارع، أو مسلسل رائع بإخراج مخرج مبدع، وكذلك عن الغنى والأغنياء فيصور بعضهم وحدهم على الفقراء بأسلوب فريد من نوعه؛ لأنه هو نسج وحده.

**مفهوم الصورة البيانية وأهميتها في الأدب.**

سنتناول موضوع الصورة البيانية مفهوماً وأهميةً باختصار قبل البدء بعرض الصور التشبيهية في كتاب المساكين؛ وذلك لأن الصورة التشبيهية جزء من الصورة البيانية، بل هي من أهم أجزائها، فكان لا بد من الحديث عنه.

**الصورة لغة:** هي الهيئة أو الشكل الذي تتميز به الموجودات على اختلافها وكثرتها<sup>(٢)</sup>.

يقول الجرجاني في التعريفات: "صورة الشيء ما يؤخذ منه عند حذف الشخصيات، ويقال: صورة الشيء ما به يحصل الشيء بالفعل"<sup>(٣)</sup>.

**أما البيان:** فهو الإفصاح والوضوح، فمعنى بان الشيء: اتَّضح، قال تعالى: "هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين".

**والبيان اصطلاحاً:** "هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"<sup>(٤)</sup> وهذا هو التعريف الذي استقر عليه علم البيان، وهو للسكاكي.

**والصورة البيانية:** هي الصورة الأدبية التي يعتمد في إخراجها على صياغات علم البيان: كالتشبيه، والمجاز والاستعارة والكناية، وسواها من الوسائط البيانية الماثورة التي يُستطاع فيها أداء المعنى الواحد بأساليب عدة، وطرائق مختلفة، بحسب مقتضى الحال وذوق الكاتب في الاختيار والإخراج<sup>(٥)</sup>.

يقول عبد القاهر الجرجاني في التصوير البياني: "ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار. فكما أن محالاً إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم، وفي جودة العمل وردائه، أن تنتظر الفضة الحاملة لتلك الصورة، أو الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل وتلك الصنعة، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام، أن تنتظر في مجرد معناه، وكما أنا لو فضلنا خاتماً على خاتم، بأن تكون

(١) للاطلاع على سيرته ينظر: محمد سعيد العريان، حياة الرافعي (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ط٣، ١٩٥٥م).

محمد رجب البيومي، مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن (دمشق: دار القلم، ط١، ١٩٩٧م).

(٢) محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب (بيروت: دار صادر، ط١)، ٤/٧٣٤.

(٣) علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ)، ١٧٨.

(٤) إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٩٦م)، ٢/٢٧١.

(٥) عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، ٥٩١.

فضة هذا أوجد، أو فصّه أنفس، لم يكن ذلك تفضيلاً له من حيث هو خاتم، كذلك ينبغي إذا فضّلنا بيتاً على بيت من أجل معناه، أن لا يكون تفضيلاً له من حيث هو شعر وكلام، وهذا قاطع فاعرفه<sup>(١)</sup>.

ويذكر الجاحظ البيان قائلاً: "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقة، ويهجم على محصوله كائناً من كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"<sup>(٢)</sup>.

والصورة البيانية وهي الطريقة التي يلجأ إليها الأديب والشاعر ليصور لنا ما يعانیه من مشاعر أو أحاسيس أو تجارب عاشها وأحسها أو سمع بها وهي في ذهنه معاني غير محسوسة أو كلمات غير ملفوظة، إلى معاني محسوسة ملموسة وكلمات منطوقة مليئة بالحركة والصور فيثبتها في النفس والعقل وذلك عن الصورة البيانية من التشبيهات والاستعارات والكنيات.

### الصورة التشبيهية في كتاب المساكين.

#### تعريف التشبيه.

**التشبيه لغة:** من الشَبَّه والشَّبَّه؛ بمعنى المثل، فالشبيه أي المثل، وأشبَّه الشيءُ الشيءَ أي ماثلته، ومن شابه أباه فما ظلم وهذا مَثَلٌ مشهور، والمتشابهات المتماثلات، والتشبيه التمثيل، وفي قوله تعالى: (وأتوا به متشابهاً) أي متماثلاً، يشبهه في الصورة دون الجودة والحسن والطعم عند المفسرين<sup>(٣)</sup>. وفي قولهم: شَبَّهْتُهُ بكذا، إذا كان بينهما صفة جامعة.

**أما اصطلاحاً:** الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بإحدى أدوات التشبيه لفظاً أو تقديرًا؛ لغرض يقصده المتكلم<sup>(٤)</sup>.

ويعرف القزويني التشبيه بأنه: "الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى"<sup>(٥)</sup>.

وعرف أبو هلال العسكري التشبيه بقوله: "الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب التشبيه منابه أو لم ينب، وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه"<sup>(٦)</sup>.

فعندما نقول: هي جميلة كالقمر، أو هو كالأسد في الشجاعة، نلاحظ أنها شاركت القمر في معنى وهي الجمال وجاءت المشاركة بواسطة أداة من أدوات التشبيه؛ وهي: الكاف، وقد قمنا بذلك لبيان اتصافها بالجمال. وكذلك المثال الثاني فقد دلَّ على مشاركته للأسد في معنى من المعاني وهي الشجاعة، بإحدى أدوات التشبيه وهي الكاف.

للتشبيه تعريفات كثيرة وكلها تصب في معنى: مشاركة شيء لشيء آخر في معنى من المعاني بأداة من أدوات التشبيه لغرض ما.

ونلاحظ بأن المعنى الاصطلاحي للتشبيه متطابق مع المعنى اللغوي حيث كلاهما يدلان على التمثيل والمشاركة في صفة ما.

وللتشبيه كما هو ملاحظ أربعة أركان، وهي: المشبه، والمشبه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه.

### الصور التشبيهية في كتاب المساكين

سنتناول التشبيهات التي استعملها مصطفى صادق الرافعي في كتابه المساكين وفقاً لأنواعه المعروفة كل على حدة، وسنبداً بالتشبيه المرسل المفصل.

#### التشبيه المرسل المفصل

التشبيه المرسل المفصل: هو التشبيه الذي ذكرت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه.

وفي نهاية مقدمته البليغة يقول: "وكان على هذه الأرض أغنياء فيهم من كرم الحس شَبَّهُ الفقر، ومساكين مؤمنون لهم من كرم الصبر شَبَّهُ الغنى"<sup>(٧)</sup>.

يشبه لنا الرافعي حال الأغنياء الأوائل أصحاب الإيمان بالفقر باستخدام أداة التشبيه (شبه) بجامع كرم الحس، فالإنسان في حالة الفقر أشد إحساساً بغيره وبمعاناته، وبآلام أخيه الإنسان فكذلك كان الأغنياء في القديم يسارعون إلى تقديم العون لأخيه والتخفيف من آلامه ومواساته فكان شديد الإحساس كالفقراء، ووجه الشبه: (كرم الحس) هو المسارعة في مساعدة المحتاجين. أما المساكين

(١) عبد القاهر الجرجاني، *دلائل الإعجاز*، تح: محمود شاكر (مكتبة الأسرة)، ٢٥٤-٢٥٦.

(٢) عمرو بن بحر الجاحظ، *البيان والتبيين*، تح: عبد السلام هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٧، ١٩٩٨م)، ٧٦/١.

(٣) محمد بن أبي بكر، *الرازي، مختار الصحاح*، تح: محمود خاطر، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون)، ٣٤٥/١.

ابن منظور، *لسان العرب*، ٥٠٣/١.

(٤) عيسى علي العاكوب، *المفصل في البلاغة* (مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ٢٠٠٠م)، ٣٥٥. عبد الرحمن الحبكي، *البلاغة العربية* (دمشق: دار القلم

ط١، ١٩٩٦م)، ١٦١/٢.

(٥) محمد بن عبد الرحمن القزويني، *تلخيص المفتاح* (باكستان: مكتبة البشرية، ط١، ٢٠١٠م)، ١٤٤.

(٦) الحسن بن عبد الله العسكري، *الصناعتين في الكتابة الشعر* (دار أحياء الكتب العربية، ط١)، ٢٣٩.

(٧) مصطفى صادق الرافعي، *المساكين* (القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م)، ٢٥.

المؤمنون الذين كانوا يعيشون قبلنا فهم كالأغنياء في شدة صبرهم، فإذا رأيتهم لما عرفته فقيراً فهو كريم في صبره وغني بقناعته، فهو ومالك الدنيا سواء فهذا بماله وذلك بقناعته، لذلك شبههم الرافعي بالغني، بكلمة (شبهه)، ووجه الشبه (كرم الصبر) عدم الحاجة إلى الآخرين. فكان هذان التشبيهان كاملي الأركان.

يشبه الرافعي الشمس والقمر بالذهب والفضة بأداة التشبيه (كأن)، ووجه الشبه: يتلألآن على أرجاء المملكة، بقوله: "وكان الشمس والقمر يتلألآن على أرجاء ملكه ذهباً وفضة"<sup>(١٣)</sup>.

فهذا تشبيه كامل الأركان.

وهنا يشبه الرافعي بقوله: "أينا كل صنّف من الموجودات كأنه لغة متميزة بخصائصها أوجدها في هذه الحياة لتدل عليه سبحانه بنوع من الدلالة أو ضرب من المجاز"<sup>(١٤)</sup>. يشبه الموجودات بجميع أنواعها باللغات ويشبه كل صنّف من الموجودات بلغة خاصة لها خصائصها وميزاتها، وأداة التشبيه (كأنه)، ووجه الشبه فيه هو الدلالة على وجود الله بنوع من أنواع الدلالة.

ويقول الرافعي عن الفلاسفة: "...وتبقى مادة الأرض فيهم كأنها أرض بورٌ عارية المحاسر لا تخصب ولا تثبت"<sup>(١٥)</sup>.

فهنا يشبه الرافعي الفلاسفة بعد أن اختاروا طريق العقل والعلم وعاشوا من أجله، وتركوا كل شهواتهم وابتعدوا عنها حتى ماتت فيهم، شئبةً حالهم مع شهواتهم وملذاتهم بالأرض البور التي لا حياة فيها ولا نبات؛ بجامع الهيئة الحاصلة في الشيء الذي يترك بدون اهتمام ورعاية لتصبح خارجة عن الاستعمال.

فكما أن الأرض الموات التي لا نبات فيها وليست بأرض زراعية لا يخصب ولا ينبت ولا يسمن ولا يغني من جوع، كذلك حال الفلاسفة مع شهواتهم فقد تركوا شهواتهم وملذاتهم حتى أصبحت منسية غير صالحة للاستعمال كأنها أرض موات.

يشبه الرافعي الشيخ بقوله: "وانطلق كالفرس العتيق في مبععة حُضْره"<sup>(١٦)</sup> بالفرس الأصيل عندما يعدو مسرعاً وهو في أول نشاطه وقوته.

يقول الرافعي: "والحي كأنه من هذه الدنيا فرخٌ في بيضة مُلئت له وخُتِمَتْ عليه، فلن يزيد فيها غير خالقها، وخالقها لن يزيد فيها"<sup>(١٧)</sup>.

شبه الرافعي في مقاله في وحي الروحي الإنسان في هذه الحياة كالفرخة في بيضة مختومة عليها وفي إطباق تام بأداة التشبيه كأنه ووجه الشبه هو الإحكام والسيطرة على الشيء بحيث لا يمكنه التحكم بمصيره وحياته بمعنى كلٍّ مسخَّرٌ بما خلق له، كما أن الفرخ قد أحكمت عليه من كل الجوانب بقوانين صارمة لا يمكن التلاعب بحجم البيض أو التسريع في إخراج الفرخ، كذلك الإنسان في هذه الحياة لا يمكنه أن يغير شيئاً من صفاته الخلقية فلا يمكنه أن يزيد في طوله أو جنسه، وكذلك لا يمكن تأخير الأجل أو تقديمه فكل بيد الخالق وحده والخالق قد خلق كل شيء بقدر.

يقول الرافعي: "وفي الإنسان كالطبيعة أرض وسماء..."<sup>(١٨)</sup>.

شبه الرافعي الإنسان بالطبيعة بأداة التشبيه (الكاف)، ووجه الشبه كلمتا أرض وسماء، وهو تشبيه رائع كما أن للطبيعة جانب علوي وهو السماء وجانب سفلي وهو الأرض فلإنسان أيضاً قسمان: قسم سماوي، علوي، روحي، معنوي وهو الروح، وقسم أرضي، سفلي، مادي، وعندما يأتي الموت يجذب كل قسم إلى أصله فالسماوي إلى السماء، والأرضي إلى الأرض، كما يقول الرافعي: "فأخذت السماء السماء، وجذبت الأرض الأرض"<sup>(١٩)</sup>.

### التشبيه المرسل المجمل

التشبيه المرسل المجمل: هو التشبيه الذي ذكر فيه المشبه والمشبه به، وأداة التشبيه وحذف منه وجه الشبه.

وفي قوله: "والله لكأنَّ المسكين في المدنية هو الجزء اللئيم الذي طرده الغني من نفسه، وتبرأ منه وأمات ما بينه وبينه"<sup>(٢٠)</sup>.

شبه الإنسان المسكين في هذه الحياة المدنية بالجزء اللئيم من الغني مستخدماً أداة التشبيه (لكن)، فالمسكين في هذا العصر المتطور مادياً والمتخلف روحياً أصبح من مخلفات هذه المدنية غير مرغوب به؛ لأن العصر عصر المادة فقيمة الإنسان بما لديه من المال والمادة، ففقد المال كفاقد الحياة بل كفاقد الوجود؛ لهذا يصور لنا الرافعي بأن هناك في الأغنياء جزءاً من أنفسهم وهم بكرهونه،

(١٣) الرافعي، المساكين، ٢٩.

(١٤) الرافعي، المساكين، ٣١.

(١٥) الرافعي، المساكين، ٤٢.

(١٦) الرافعي، المساكين، ٤٦.

(١٧) الرافعي، المساكين، ٥١.

(١٨) الرافعي، المساكين، ٥٣.

(١٩) الرافعي، المساكين، ٥٣.

(٢٠) الرافعي، المساكين، ٢٤.

يطردونه، ويقطعون بما يمت إليه بصلة ولكن هيهات لهم، فحال الأغنياء مع الفقراء كحالهم مع ذلك الجزء من أنفسهم، فرويتهم الفقراء كرويتهم الموت، وهو يقترب منهم. ربما كان مكان هذا التشبيه أقرب إلى التشبيه التمثيلي منه إلى التشبيه المرسل المفضل.

ويتابع الرافعي في ذكر تشبيهاته الرائعة واحدة تلو الأخرى فيقول: "إذا عترضنا في مذهب من مذاهب الحياة، نفر الغني كأنما يرى قبره يدنو منه"<sup>(٢١)</sup>. يشبه لنا رؤية الغني للفقير برؤيته لقبره وهو يقترب منه، بجامع الهيئة الحاصلة في نفرة الغني من الشيء، وتهربه من اللقاء به. أكره شيء لدى الإنسان على الإطلاق هو علمه باقتراب أجله، لذا شبهه الرافعي بما يحمله الأغنياء من الكره والبغض تجاه المساكين.

يقول الرافعي عن الشيخ علي: "وهو أبدأ في صمتٍ بليغٍ كصمتِ الطبيعة"<sup>(٢٢)</sup>.

شبه الرافعي حال الشيخ علي وصمته بصمت الطبيعة وسكونها وهونها بأداة التشبيه (الكاف)؛ ووجه الشبه: الهدوء والسكون اللذان يحملان الكثير من الحكمة، فالطبيعة وإن كانت صامتة بلا كلام فهي مليئة بالحكمة والعلم والحلم، معها يُروّح الإنسان عن نفسه، ويستأنس بها ويشكو إليها بثه وحرزته؛ كذلك الشيخ علي فصمته حكمة لا يتكلم إلا لضرورة، وهو مصدر إلهام وسكينة.

يجسد الرافعي حال شيخ المساكين مع الحياة فيقول: "إنه ليجوع ويظمأ ويعري، ولكن كما يجوع الطير وتظمأ الأرض ويعري الشجر"<sup>(٢٣)</sup>. فشبه جوع الشيخ بجوع الطير بجامع سرعة الشعور بالجوع وسرعة الشبع، فهو كالطيور عندما يجوع لا يأكل إلا ما يسد رمقه. وشبه احتياجه إلى الماء كاحتياج الأرض وسرعان ما يرتوي، فيكتفي بقليل منه. وشبه عراه بعري الشجر لخفة لباسه وبساطتها لذا شبهها بأوراق الشجر.

وهذا النوع من التشبيه يندرج تحت نوع التشبيه المرسل المفضل، وقد ذكر فيه المشبه والمشبه به وأداة التشبيه دون وجه الشبه.

يقول الرافعي في الفصل الرابع (مسكينة! مسكينة!): "وخرجت يوماً على الناس وكأنها لفتارها قطعة من الحياة البالية مدرجة في بعض الأظمار، أو روح من الهواء تمشي ساكنة في أودية من الغبار"<sup>(٢٤)</sup>. شبه لنا الرافعي الفتاة المسكينة بقطعة من الحياة البالية وقد لبست ملابس مهترنة، وتنتى بتشبيه ثان كأنها لفتارها وذلك لا يكفيها تشبيه واحد فشبهها بهواء هادئ في وادي من الغبار وليس فقرها لخطأ منها، في التشبيه الأول شبهها بالحياة البالية ووجه الشبه في الفتارة، فهي كانت قذرة في الجسد والثياب من الفقر وقلة الحيلة حتى أصبحت لا تتفع لشيء فلا قوة فيها لتعمل ولا نظافة فيها لتستقبل لذا كانت كقطعة من الحياة التي عفا عليها الزمن فأصبحت خاوية على عروشها.

وفي التشبيه الثاني شبهها بهواء نظيف هادئ ساكن ولكن في أودية قد امتلأت غباراً فأخذت نصيبها منه. ووجه الشبه في النظافة والهدوء، فكان التشبيه بالهواء لأنها وإن كانت متسخة الثياب وعليها علامات الضعف والذلة، لكنها وإن كانت متسخة... فهي نظيفة نظافة الهواء روحاً، ولكنها في جو مليء بالفتارة كالوادي المليء بالغبار. كأن الرافعي يعد أن جسد لنا منظرها السيء وملابسها البالية أراد أن يلفت نظرنا إلى الطرف الأهم في المعادلة وهو الروح لا الجسد ونظافة القلب لا نظافة الملابس.

ويتابع في تصوير حال الفتاة وألمها فيقول: "وما تحصي العين تلك البقع المنتشرة في ثيابها؛ كأنها أرقام للفقير يعدُّ بها ليالي عذابها"<sup>(٢٥)</sup>.

يشبه البقع المرقعة المنتشرة في ثيابها بأرقام للفقير ولكن ثباتها لا تعد ولا تحصى وكأن كثرة البقع المرقعة في ثيابها دليل على ارتقائها في سلم الفقر حتى نالت أعلى المراتب بحصولها على أكبر عدد للترفيعات بل للترفيعات؛ ولا شك أن الحصول على المراتب العليا في الفقر لا يمر بدون ليال مليئة بالألم والعذاب.

هذا ما في ثيابها، وأما شعرها فقد شبهه بحظها الأسود ووجه الشبه السواد في كليهما الحظ الأسود والشعر الأسود فهما ظلمة على ظلمة، أما الوجه فيشبهه الدينار المزيف في صفرته؛ بل وجهها يشبه القمر الذي انمحق وغاب في ظلام دامس ممتد امتداد الأرض والسماء، فوجه الشبه اختفاء النور في كليهما، اختفى نور وجه المسكينة تحت ظلام الفقر وقساوته؛ لكأنه (الفقر) أقسم أن يلاحق الفتاة ويصاحبها ويكون لها خير رفيق، وخير أنيس ولكن على طريقة الفقر، لا على ما تشهيه الفتاة، أي أنيس وأي رفيق أنت أيها الفقير! اذهب جالس الأغنياء وكن لهم رفيقاً، فالمساكين لهم من اسمهم نصيب منك.

يقول الرافعي في شعرها ووجهها: "فكأنه بعض ما وقع على رأسها من حظها الأسود، ولاح من تحته وجه كالدينار الزائف في صفرته ورده، وكالقمر المحروق في استطلاته تحت الظلام ومدته"<sup>(٢٦)</sup>.

هذه هي حال الفتاة وقسمتها من هذه الحياة الفقر والقسوة والمرض وحظها الأسود كلهم اتفقوا على أن يصاحبوها، وتعاهدوا على عدم تركها لوحدها؛ بل وتنافسوا عليها، كان الله في عونك أيتها المسكينة.

### التشبيه المؤكد

(٢١) الرافعي، المساكين، ٢٤.

(٢٢) الرافعي، المساكين، ٤٥.

(٢٣) الرافعي، المساكين، ٤٦.

(٢٤) الرافعي، المساكين، ٧٣.

(٢٥) الرافعي، المساكين، ٧٣.

(٢٦) الرافعي، المساكين، ٧٣.

التشبيه المؤكد: هو ما حذف منه أداة التشبيه فقط.

وفي أثناء الكلام عن الشيخ علي الذي تكلم الشيخ مصطفى صادق الرافعي بلسانه وأسند إليه الكلام في كتابه قال عنه: "فالشيخ علي هذا هو رمز في كل دهر لثبات الجوهر الإنساني على تحول الأزمنة في أشكالها المختلفة"<sup>(٢٧)</sup>.

فقد شبه الشيخ علي بالرمز بتشبيهه مؤكداً بحذف أداة التشبيه، فالرافعي يريد أن يؤكد لنا بأن الشيخ علي علامة حقيقية على الجوهر الإنساني الصافي الذي حافظ على نقائه وجماله، ولم يصبه شيء من الدنيا وحطامها ومتاعها لذا فهو رمز يشار إليه لمن أراد من البشر أن يتعرف على حقيقته قبل اختلاطها بشوائب الدنيا وأمراضها، فهو يمثل الروح الإنسانية في أجمل صورها، والمعروف أن الرمز للشيء علامة تدل على معنى الشيء وحقيقته وجوده. ووجه الشبه هو الإشارة إلى حقيقة الشيء وجوهره.

وبصور لنا حال الشيخ علي مع هذه الدنيا وما له منها وما لها منه؟ فهو ليس له من هذه الدنيا إلا كما لزورق في بحر قد سقط مجذافه فليس له ما يضرب به وما يُسخر به، إنما له رحمة من الله ترافقه حيث رحل، وعلي أي شيء سيعاديه الدنيا إن كان هو مستغن عنها وليس له طمع في دنيا الناس وناس الدنيا إلا عيش بسيط على كفاف الحياة. فيقول الرافعي في هذا التشبيه البليغ: "وهو في ذلك البحر زورق قد سقط مجذافه...".

يقول الرافعي عن الفتاة المسكينة: "وقفت (المرأة الغنية) لها وقفة القضاء عابسة الوجه شامخة الأنف، يكاد يستنفذ الناس طرفها"<sup>(٢٨)</sup>.

هنا شبه الرافعي وقفة المرأة الغنية وهي تقف في وجه الفتاة المسكينة بوقفة القضاء بحذف أداة التشبيه فقط ليكون تشبيهاً مؤكداً، ووجه الشبه فيه عابسة الوجه شامخة الأنف، معلوم أن للقضاء هيبته خاصة عندما يقف الجميع وقفة يسودها الهدوء ليقضي القاضي الذي يفر الناس من غضبه وحكمه بالحكم إما العقوبة أو العقوبة، فليس عنده حكم سوى العقوبة؛ كذلك كانت المرأة الغنية وهي تقف إزاء فتاة مسكينة وقد هزلت من شدة ما بها من الحاجة والفقر، كأنها وقفت تحاسبها بما اقترفت بحقها وحق الأغنياء من أمثالها وقفة تكبر وتجبر ليصفعها صفعاً تليق بها وبأمثالها من الفقراء الذين أسأوا للأغنياء وضيقوا عليهم بطلبهم ما يسد رمقهم من قطعة رغيف، أعانك الله أيتها المسكينة.

### التشبيه البليغ

التشبيه البليغ: هو التشبيه الذي حذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه.

يشبه الرافعي المساكين بالسحابة المستوية المُخيلة؛ قائلاً: "هم أبدأ السحابة المستوية المخيلة لمطر العواطف على جذب الروح الإنسانية في الأرض"<sup>(٢٩)</sup>.

بهذه الجملة البليغة المليئة بالصور والأحاسيس يشبه أولئك المساكين بتلك السحابة التي امتلأت ماء ورحمة وتستعد أن تهطل بأقطارها على الأرض بجامع أن كلا منهما رحمة من الله لإعادة الشيء إلى الحياة بعد مواتها فهذه السحابة بأقطارها تروي الأرض الجذباء القاحلة التي لا تسمن ولا تغني من جوع، لا نبات ولا شجر فيها؛ لتعيدها إلى الحياة بأقطارها فينبت كل شيء فتصبح الأرض مخضرة بعد، وهؤلاء المساكين بعواطفهم الدافئة ومشاعرهم الصادقة وإخلاصهم يروون تلك الأرواح الخاوية الخالية من الأحاسيس والعواطف التي أصبحت كأنهم خشب مسندة؛ لا روح فيها، فتلين قلوبهم وتنبض بالمشاعر بعد مواتها.

يقول الرافعي: "وليس حبُّ المال والبخل به إلا وجهاً من بغض الناس وازدراؤهم"<sup>(٣٠)</sup>.

يشبه الرافعي البخل بالمال ببغض الناس واحتقارهم، بتشبيهه بليغ بحذف الأداة ووجه الشبه واستعمل أيضاً أسلوب الحصر ليصور لنا بأن البخل هو بغض الناس واحتقارهم؛ وأن بغض الناس لا يكون إلا بالبخل والاحتقار. ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة في الشيء الذي يكرهه كل الناس لأنه مصدر الشر.

فكما أن احتقار الناس شيء كرهه ينفر منه الناس فكذلك البخل ينفر الناس من البخل ويبغضونه.

ويقول علي لسان الشيخ علي عند الحديث عنه في الفصل الأول: "وكل رجل من هؤلاء صورة مقلدة فأين الأصل؟"<sup>(٣١)</sup>.

فالشيخ علي ينظر إلى الذين من حوله فلا يرى إلا أشباه رجال فقدوا الرجولة والشهامة وقلدوا الخيانة والعداوة، فشبههم بالصور التقليدية للشيء تشبيهاً بليغاً بدون ذكر أدواته ووجهه، فكأنه يقول لهم: لستم رجالاً بل على صور رجالٍ أنتم نسخة رديئة من البشر أيها الناس، ووجه الشبه محذوف ليترك للقارئ التوسع فيه فكل لديه في ذاكرته من تلك الصور الكثير الكثير، فكما أن لكل شيء أصل وتقليد فليكن للإنسان أيضاً أصل وتقليد.

ومن التشبيه البليغ قول الرافعي عن معنى السعادة: "ومعنى السعادة يبحث الناس عنه في هذه الكلمة وحدودها وحقائقها، وربما كان هذا المعنى بجملة تلقى تحت الشمس في زاوية من زوايا القرى، أو متقيئاً ظل شجرة من شجر الجُمَيْر، أو نائماً تحت سقف معروش

(٢٧) الرافعي، المساكين، ٢١.

(٢٨) الرافعي، المساكين، ٧٧.

(٢٩) الرافعي، المساكين، ٢١.

(٣٠) الرافعي، المساكين، ٣٢.

(٣١) الرافعي، المساكين، ٤١.

من حطب القطن، أو جالساً يضحك في ندوة الحي، أو قائماً يتأمل مجرى النهر، أو مضطجعاً يقلب وجهه في السماء، أو هو الذي يسمى الشيخ علي<sup>(٣٢)</sup>.

فهنا يصور لنا الرافي معنى السعادة بتجسيدها بصورة إنسان في مختلف حالاته وأبسطها، فقد شبهها بإنسان بسيط يعيش في طرف قرية من القرى وقد استلقى تحت الشمس ربما ليأخذ قسطاً من الراحة بعد أن أتعبه العمل، وبما تكمن معنى السعادة في شخص قد اتخذ شجرةً من أشجار الجُمَيز فيبأ له عساه يحمي نفسه عن حر الشمس بمقدار تلك الفيء وبساطتها، أو ربما تشبه السعادة إنساناً نائماً في كوخ مبني من طين وسقفه من حطب القطن وخشبها، أو ربما تشبه السعادة إنساناً عامياً وقد جلس في مقهى الحي وهو يضحك، أو إنساناً ينظر إلى النهر متأملاً إياه... وأخيراً يرى بأن السعادة هي الشيخ علي نفسه.

ولا فرق بين الشيخ علي والسعادة حيث كلاهما عصي على الفهم والنظر، كلما نظرت إليهما ازددت غموضاً وحيرة، لأنهما كالشمس وضوحاً والروح غموضاً.

يقول الرافي في مقاله في وحي الروح: "الحياة خداعٌ وغرورٌ وزيفٌ وخطأٌ..."<sup>(٣٣)</sup>.

شبه هنا الحياة في تشبيهه ببلوغ بأشياء كثيرة، رأى الحياة بأنها خداع كما أن الإنسان المخادع لا يظهر حقيقته لبعض الناس إلا بعد فوات الأوان كذلك الدنيا فهناك كثير من الناس رأوا الدنيا على غير حقيقتها، وشبه الدنيا بالغرور لأنه جامع لكل ما يغر به الناس من مال وجاه وسلطان وشهوة وإنسان، اعتمد أسلوب التشبيه البليغ في معرض تشبيهه الدنيا بالغرور؛ ليؤكد لنا بأن الدنيا هي الغرور نفسه. وكذلك بقية التشبيهات من زيف وخطأ وعبث ولهو ولعب.

يقول الرافي في فصل الفقر والفقير عن الغني: "ولكنه دابة اجتماعية"<sup>(٣٤)</sup>.

شبه الغني بالدابة الاجتماعية - وهي تطلق على الحيوان في العرف العام- بتشبيهه ببلوغ فحذف الأداة ووجه الشبه؛ ليكون الغني الدابة نفسها بمعنى ليؤكد أن المشبه هو نفسه المشبه به، إلا أنه دابة اجتماعية؛ يعيش في المجتمع البشري ويتصرف تصرف الحيوان مع المساكين والضعفاء يزجر بوجه هذا، وينبح بوجه ذلك، وإذا أعطى المال كالبشر كان عطاؤه فارغاً لأنه لا يرى من أهل الدنيا من هم دونه مالاً وجاهاً، بل يرى من في طبقة ومن أعلاهم مالاً لا أخلاقاً؛ لا يرى سوى المال فيتصرف على أساس المعاملات المالية، وليس فيه ضمير يؤنب وقلب يشفق، وخلق ينكر سيناته؛ لهذا كان دابة اجتماعية.

### التشبيه المقلوب

التشبيه المقلوب: هو الذي جعل المشبه مشبهاً به بادعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأوضح وأظهر من المشبه.

يشبه الرافي الشمس والقمر بالذهب والفضة بأداة التشبيه (كان)، ووجه الشبه: يتلألأ على أرجاء المملكة، بقوله: "وكان الشمس والقمر يتلألأ على أرجاء ملكه ذهباً وفضة"<sup>(٣٥)</sup>.

وهذا من التشبيه المقلوب حيث من المعلوم أن الشمس والقمر أكثر لمعاناً من الذهب والفضة، فالأصل أن يكون المشبه هو الذهب والفضة، والمشبه به الشمس والقمر.

يقول الرافي: "تطلع الشمس تلمع على الناس كأنها فصٌ خاتم السماء تشير به أن تعالوا إلى الكنز في ضوء هذه الياقوتة الصغيرة"<sup>(٣٦)</sup>.

يشبه الرافي الشمس ولمعانها بالحجر الكريم الذي ركب في وسط خاتم ولمعانه وقد ظهر في السماء ليخبر الناس بأن كنوز الدنيا كلها تكمن في هذه الياقوتة الصغيرة.

وهذا من التشبيه المقلوب الذي يكون المشبه (الشمس) أقوى من المشبه به (فص خاتم).

### التشبيه التمثيلي

التشبيه التمثيلي: هو التشبيه الذي يكون وجه الشبه هيئة منتزعة من شيئين أو عدة أشياء<sup>(٣٧)</sup>.

وقد قال عبد القاهر الجرجاني: " وإذا عرفت الفرق بين الضربين فاعلم أن التشبيه عام، والتمثيل أخص منه، وكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً"<sup>(٣٨)</sup>.

(٣٢) الرافي، المساكين، ٤٢.

(٣٣) الرافي، المساكين، ٥٢.

(٣٤) الرافي، المساكين، ٦٧.

(٣٥) الرافي، المساكين، ٢٩.

(٣٦) الرافي، المساكين، ٥٢.

(٣٧) بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان (القاهرة: مؤسسة المختار للنشر، ط١، ٢٠١٥م)، ٧٩.

والعاكوب، المفصل في البلاغة، ٣٨٥.

(٣٨) الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، تح: محمود شاكر (القاهرة: مطبعة المدني)، ص ٩٥.



وفي مقدمة الطبعة الثانية يقول الرافعي: "ستقرأ في الكتاب وصف الشيخ علي الذي أسندت إليه الكلام، وجعلته فيما أستوحيه كالخيط من شعاع السماء تهبط عليه تلك المعاني التي خلد عليها جمال الخلد"<sup>(٣٩)</sup>. مُثَبِّهًا الرافعي الشيخ علي -الذي هو مصدر إلهامه- عندما تهبط عليه المعاني الأبدية حتى جعلته رمزاً للإنسانية بالخيط من شعاع السماء، فقد ذكر فيه المشبه، والمشبه به، بأداة التشبيه الكاف، وحذف وجه الشبه؛ والجامع بينهما هو أن كلا منهما يأخذان من السماء مصدر قوتها فهذا الخيط يأخذ من أشعة الشمس فيهبط إلى الأرض مخترقاً كل شيء مضيئاً لهم الطريق مستمداً قوته من الشمس، وكذلك الشيخ عندما تهبط عليه تلك المعاني الإنسانية يصبح رمزاً لكل الإنسانية مستمداً قوته من تلك المعاني الخالدة؛ كأنه نزل من السماء ليكون شاهداً على بني البشر.

ويبين الرافعي حال المساكين بقوله: "ولعلمهم لذلك يتراكمون في الحياة كالغمام ويتشققون من نار كالبروق..."<sup>(٤٠)</sup>.

يشبه الرافعي حال المساكين بالغمائم بجامع قنامة الصورة وسوادها مع ما فيها من نفع وخير، فالغمائم عندما تتراكم فوق بعضها البعض تشد سواداً، وتنقل بالماء لتبشر بالغيث الوفير والخير الكثير، فكذلك حال المساكين فهم مصدر الخير والبركة وإن كانت الهموم تتراكم عليهم وتنقل كاهلهم. فوجه الشبه منتزع من عدة أشياء فكان التشبيه هنا تمثيلاً.

ويأتي لنا الرافعي بتشبيه تمثلي بقوله: "فمن لم يستطع أن يتوقى ضربة الحياة المدنية بُعداً من قوة... وضعته من الناس موضع الحبة من الرحي الدائرة..."<sup>(٤١)</sup>.

شبه لنا حال الإنسان الفقير المسكين الذي لا حول ولا قوة له في هذه الحياة المدنية القاسية شبه وضعه وهو بين الناس كوضع الحبة عندما تكون بين حجري الرحي في طاحونة فتطحنها فلا تبقى منها ولا تدر فتصبح رماداً منتثراً. ووجه الشبه هو شدة القساوة والمعاناة في كل منهما.

وهذا التمثيل في غاية الدقة والإيضاح حيث يعبر عن معاناة المعنوية للمساكين التي لا يحس بها إلا أصحابها فيجسدها بصورة حسية قريبة من كل إنسان (وهي صورة الطاحونة) على أمل أن تلين قلوب بعض الجفاة الذين أعماهم الغنى عن رؤية معاناة المساكين، ولكن الرافعي يبين بأنه ليس للفقراء إلا التسلح بسلاح الثقة بالله ورحمته.

وفي قوله عن إيمان المؤمن: "وهو (الإيمان) بهذا حائل في كل مجتمع بين أن تنقلب أسباب السموم العقلي فتعود من أسباب الدناءة والخسة"<sup>(٤٢)</sup>.

وذلك بعد أن كنى لنا بأن صفة الإيمان في الإنسان صفة وقاية للإنسان عن ظلم الآخرين، وبأنه يجعل الإنسان مرتاح البال وقرير العين يساعده على التخلص من كل ما يضره ولا ينفعه.

في الصورة البيانية السابقة يشبه الإيمان بالحائل الذي يحول دون انهيار المجتمع في هوة الموبقات والمعاصي فيها والمحافظة على ما ينفع المجتمع، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة في الشيء الذي يحافظ على الخير ويمنع الشر.

ويتابع الرافعي في مقدمته البليغة عن فلسفة الفقر وأحوالها، ومقارنتها بالغنى وأحوالها ليأخذنا من تشبيهه إلى آخر ومن صورة إلى أخرى ومن معنى إلى معنى فيقول: "والغني القادر على متع الحياة ولذاتها هو دائماً في فلسفة العاجز قادر بلا قدرة، كما أن الفقير الضعيف هو دائماً عند نفسه عاجز بلا عجز..."<sup>(٤٣)</sup>.

في هذا المشهد التمثيلي يرى الرافعي بأن الأغنياء الذين يمكنهم الاستمتاع بكل ملذات الدنيا ومتاعها ولا يرون في الدنيا إلا المتاع والمال، فالدنيا عندهم متاع والمتاع عندهم هو الدنيا، فهم عند الضعفاء والمساكين كالقادر بلا قدرة أي أنهم ليس لهم من غناهم إلا الاسم، حيث لا يسمنون ولا يغنون من جوع، أموالهم هباء في هباء، وغناهم كالحظ، ليس منهم ولا لهم بل متاع قليل زائل، في نظر الفقراء كالموصوف بشيء بلا صفة.

وحال الأغنياء هذه كحال الفقراء الذين لا يملكون شيئاً، فليس لهم من الدنيا شيء، وليس للدنيا عندهم من شيء، يعيشون فلا يدرون هل هم يعيشون في الدنيا أم الدنيا تعيش فيهم، فهم يشبهون أنفسهم بأنهم كالعاجز بلا عجز، أي كالذي يعيش بلا عيش وكالحي بلا حياة، حتى عجزه بلا عجز، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة في الشيء الفارغ بلا مضمون، أو بالاسم دون المسمى، أو بالصفة دون الموصوف.

ونلاحظ أيضاً فيه تشبيه صورة الغني الذي لا معنى لغناه والقادر الذي لا معنى لقدرته كالفقير الذي لا معنى لفقره، والعاجز الذي لا معنى لعجزه، بجامع أن الشيء الفارغ من المضمون لا قيمة له، فلا غناه يغنيه ولا فقره يفقره، بل كل من عند الله، فهو كالحظ لا الغني قد امتلك غناه بقوة منه، ولا الفقير قد أصبح فقيراً بعجز وضعف منه.

يقول الرافعي: "إن من الشجر شجرة تنبت في الفقر تعتصر ماءها من بين رمل وحجر... فإذا ازدرعها في الخصب وخصلها الماء وساعت لها الطبيعة، ثم حان أن يزهر عودها ملسه كرم الأرض... وكذلك مثل الفقير بين الملحد والمؤمن"<sup>(٤٤)</sup>.

(٣٩) الرافعي، المساكين، ٢١.

(٤٠) الرافعي، المساكين، ٢١.

(٤١) الرافعي، المساكين، ٢٢.

(٤٢) الرافعي، المساكين، ٢٣.

(٤٣) الرافعي، المساكين، ٢٤.

(٤٤) الرافعي، المساكين، ٢٤.

في هذه الصور الجميلة الرائعة يشبه لنا الرافي حال الفقير عندما يكون بين المؤمن والملحد فهو كشجرة من بين الأشجار قد نبتت في صحراء قاحلة لا خير فيها، تمتص منها الماء والقوة فتجعلها هزيلة لا تنبت إلا الشوك، ولكن لو كانت تلك الشجرة في أرض خصبة كثيرة المياه، وأخذت ما تحتاج إليه من المياه والقوة وأكرمت عليها الأرض لأنبتت مكان كل شوكه زهرة ولكانت تلك الزهرة كأنها كلمة الحمد، كذلك حال الفقير فهو طيب وكريم وأصله نبيل ولكن يختلف باختلاف المكان، فالمسكين إن لم يأخذ من بني آدم ما يقيم به صلبه ويسد به رمقه لما رأيت منه إلا كما رأيت من تلك الشجرة الطيبة في الأرض القاحلة لن تر منه إلا الشر واللؤم؛ فهذا هو حاله عندما يكون بين ملحد بالله وملحد بحق أخيه الإنسان، لا يرى من الدنيا إلا مصالحه، أما إذا عاش ذلك المسكين في بيئة خير وبركة وبين مؤمن بالله ومؤمن بحق أخيه الإنسان لكان حاله كحال تلك الشجرة الطيبة في الأرض الخصبة لما رأيت منه إلا الخير والبركة، فالإنسان ابن بيئته، وكل إناء بما فيه ينضح.

يقول الرافي: "وما أشبه نفوس الناس في هذه الحياة بالزجاج سبط عليه نور الشمس؛ فما كان من طبعه رديناً غير مصقول، أو مهملاً قد شاع فيه الصدا، فذلك متى ألحّت عليه وقدة الجو حصى وتضّرّم في ذات نفسه؛ وما كان من طبعه صافي الماء بادي الرونق نقي الصفحة، رأيت في توقده واضطرّاه كأنما يمجّ من شعاع الشمس لهباً يتطاير..."<sup>(٤٥)</sup>.

في هذه الصورة التمثيلية الرائعة بجسد لنا الرافي نوعين من النفوس البشرية والنفس شيء معنوي بتشبيها بالزجاج وهو مادي حتى يقربها إلى الأفهام.

ضرب الرافي لنا صورة حسية للكشف عن نفوس الناس في الحياة فشبه الإنسان الذي يكون سيء الطبع والخلق، وقليل المروءة والكرم، بزجاجة رديئة الأصل لم تتحمل حرارة الجو وسخونة الهواء وأشعة الشمس فاحترقت، لذا كان إسقاط الشمس عليها امتحاناً لبيان رداءتها، وقلة جودتها، وأما الإنسان ذو الطبع الجيد والخلق الحسن فمثل زجاجة جيدة الصنع وعالية الجودة فإسقاط ضوء الشمس عليها زادها جمالاً ورنقاً واجمعت تلك الأشعة القادمة من الشمس --وقد أنارتها-- ليعكسها إلى الشمس مرة أخرى، كذلك الإنسان ذو الخلق الحسن فإن أكرمه ملكته بجميل خلقه وكريم طبعه، واكتسبته صديقاً وفيّاً ليرد إليك إحسانك أضعافاً مضاعفة، أما ذلك الإنسان ذو النفس الرديئة فإن أكرمه تمرّد عليك وأرداك قتيلاً ليثبت لك عن نفسه الخبيثة.

يصور الرافي بقوله: "فإن من ضرائب اللؤم وغرائز السوء في هذا الإنسان أنه ما ينفكّ يحمل نعم الله ورحمته، وما لا حد له من العناية الإلهية، ولكن كما يحمل الطاووس ألوانه وتحاسينه وزينته البديعة على ساقين مجرودتين في الغاية من القبح وكأنهما من غراب"<sup>(٤٦)</sup>.

يشبه الرافي لؤم الإنسان وسوء طبعه، وقد أكرمه الله وأنعم عليه بنعم لا تعد ولا تحصى وهو بعناية الله وحفظه بالطاووس صاحب أقبح ساقين كأنهما ساقا غراب، وهو يضرب فيه المثل بجمال ألوانه، وحسن زينته، وإبداع شكله، بجامع الهيئة الحاصلة في الشيء يجمع مع الجمال والإبداع بعض القبح والسوء.

فهو يمثل لنا صورة معنوية؛ وهي جمال تلك النعم التي أنعم الله بها البشر وكمال عنايته بهم وحفظه إياهم من كل شر بصورة حسية ملموسة -لا يخفى على أحد- بل هو مضرب المثل في الجمال- وهو الطاووس بجماله وحسن منظره وريشه الملون، ولكنه صاحب ساقين في غاية القبح، كذلك الإنسان يحمل أجمل نعم الله وأفضلها وهو صاحب أقبح الغرائز وأسوء الطباع.

قال الرافي: "كأنه جزيرة قائمة في بحر لا يحيط بها إلا الماء فلا صلة بينهما في المادة وإن كانت فيه"<sup>(٤٧)</sup>.

شبه الرافي الشيخ علي بالجزيرة القائمة في البحر ولا يحيط بها البر من أي جانب بأداة التشبيه كأنه، ووجه الشبه لا صلة بينهما في المادة، كما أن الجزيرة التي هي في الأصل من التراب واليابسة ولكنها منفصلة عن الأرض واليابسة ومحاطة بالبحر من كل الجوانب، أي هي أرض منعزلة عن الأرض، فكذلك حال الشيخ علي فهو إنسان منعزل عن البشر كأنه لا يعيش بينهم فهم في واد والشيخ علي في واد آخر، وهموم البشر شيء وهموم الشيخ علي شيء آخر مختلف تماماً عنهم، والشيخ علي وإن كان يُعد من البشر إلا أنه شيء ضد البشر، إن كان الإنسان يحس بالألم والسعادة فالشيخ علي عنده كلاهما سواء، فهو نسيح وحده وفريد زمانه، كان الله في عون الشيخ علي.

في الفصل الثالث عن الفقر والفقير يقول الرافي: "الفقر متى ألقيته سؤلاً عاد إليك بجواب نفسه؛ لأنه فصل من كل عمل، كالشتاء فصل من كل سنة"<sup>(٤٨)</sup>.

فشبه هنا الفقر ووجوده في كل عمل وهو فصل من فصول كل عمل؛ كالشتاء وهو فصل من فصول السنة فلا سنة بلا شتاء ولا عمل بلا فقر؛ لأنه لولا الفقر لما عمل الإنسان واجتهد.

يجسد لنا الرافي صورة الأغنياء بقوله: "إذا لم يقرّ الأغنياء لأنفسهم بالضمائر... فهل هم في ذلك إلا كالمجانين لا تقر لهم الشرائع بالعقول..."<sup>(٤٩)</sup>.

<sup>(٤٥)</sup> الرافي، المساكين، ٣٠.

<sup>(٤٦)</sup> الرافي، المساكين، ٣٧.

<sup>(٤٧)</sup> الرافي، المساكين، ٤٢.

<sup>(٤٨)</sup> الرافي، المساكين، ٦٠.

<sup>(٤٩)</sup> الرافي، المساكين، ٦٧.

يجسد لنا صورة الأغنياء الذين باعوا الضمائر بثمن بخس وفقدوا بذلك كل ما يتحملونه من مسؤولية اجتماعية تجاه الفقراء والضعفاء والمساكين بتشبيهم بالمجانين الذين لا عقل لهم؛ وبذلك أصبحوا غير مكلفين بشيء في جميع الشرائع ولا تقع أية مسؤولية على عاتقهم ووجه الشبه هو عدم تحمل المسؤولية لفقدان سببها، فالمجانين بسبب فقدانهم العقول التي تحملهم المسؤولية، والأغنياء بسبب فقدانهم الضمائر التي تؤنبهم وتوبخهم.

المجانين الذين فقدوا العقل ربحوا الدنيا والآخرة؛ أما في الدنيا فهم من أغنى الأغنياء؛ لهم عالمهم الخاص، وسعادتهم الخاصة، وهم معنا في الدنيا جسداً وروحهم في عالم آخر خاص بهم لا نعرف عنه إلا اسمه وهو عالم المجانين. وأما في الآخرة فهم العقلاء الذين تركوا دنيا العقلاء فنجوا من حساب العقلاء؛ بل ويحسداهم العقلاء في الآخرة إلا من كان نقي القلب والنية كنفاء المجانين ونيبتهم.

ولكن الأغنياء الذين فقدوا الضمير أساؤوا للمساكين في الدنيا ولأنفسهم في الآخرة؛ لذا فهم مجانين الضمير والذين فقدوا عقولهم مجانين العقل.

### التشبيه الضمني

التشبيه الضمني: هو التشبيه الذي لا يكون على صورة من صور التشبيه المعروفة بل يفهم التشبيه من الجملة فهماً ضمناً بناؤه على التحليل والاستنتاج<sup>(٥٠)</sup>.

يقول الرافعي: "أن ما يُعمل في القبر يُعمل قريباً منه في القلب"<sup>(٥١)</sup>.

في هذه الجملة تشبيه ضمني يشبه القبر وما فيه بالقلب وما فيه، والذي نزل في القبر قد تجرد من كل شيء واستسلم له، وترك كل ملذاته وما يستطيه من الحياة وراء ظهره، وكأنه أصبح ملكاً للقبر وحده، فالقلب مثله في عمله وأثره.

يقول الرافعي: "من هو هذا الكائن الضعيف الذي أحاط به الجهل حتى إنه ليجهل نفسه"<sup>(٥٢)</sup>. في قوله تشبيه ضمني وهو تشبيه الكائن الضعيف الذي هو الفقير بالجاهل بنفسه.

يقول الرافعي على لسان الأغنياء: "إن في الأرض شينين بمعنى واحد: قبور الأموات، وأكواخ الفقراء... هذا قبر ميت، وهذا قبر حي"<sup>(٥٣)</sup>. والشاهد منه هو التشبيه الضمني الذي يفهم من الجملة فقد شبه بيوت الفقراء وأكواخهم بقبر حي، والجامع هو نسيان الشيء وعدم المبالاة به.

كما أن القبر هو مكان الدفن والنسيان والانتهاه فكذاك بيوت أولئك الفقراء الأموات الأحياء، هؤلاء المساكين هم وحدهم يمكنك أن تصفهم بأي وصف شئت جميلاً كان أم قبيحاً؛ لأن في موتهم حياة وفي حياتهم موت؛ استوت عندهم كل الصفات؛ سواء ذكراهم ونسيانهم، فهم الذين حطموا كل القيود والصفات أليسوا جبابرة على أعتى أنواع الأذى، وضعفاء على أبسط أنواع الملذات، أليسوا متمردين على أسوأ أحوال الدنيا، ومطيعين للقليل من الرزق الكريم، والقوت البسيط؛ أليسوا هم وملوك الدنيا سواء أولئك بملكهم وهؤلاء بقناعتهم ورضاهم؟ ما أعجب الفقراء وما أقواهم وما أضعفهم وما أغربهم فقد جمعوا كل تناقضات الدنيا بأنفسهم التي كانت وما زالت منسية في غياهب الحياة وتعقيداتها!

رحمك الله أيها الأديب البارع والشيخ الفاضل لقد أبدعت أيما إبداع؛ فليس لأحد الحق أن يكتب عن الفقراء والمساكين بعد كتابك هذا؛ كتاب ليس له مثيل من قبله ولا من بعده.

يقول الرافعي في الفصل الخامس من كتابه عن بائع الحلواء: "وهو دسم الثوب، ترب اليد، قدر التفصيل والجملة، يصلح أن يكتب على وجهه متحف الميكروبات المصري"<sup>(٥٤)</sup>.

هنا شبه بائع الحلواء بمتحف الميكروبات المصري معتمداً قالب التشبيه الضمني لقذارته ووساخته، كأنه جمع كل الأوساخ في جسده كالمتحف الخاص بالميكروبات ليراها الزوار القادمون إلى المتحف إلا أن بائع الحلواء هو الذي يتجول ليراها الناس.

وفي قوله: "إذن لسنا نجهل أن للنفس حظاً ليس للجسد، وأن الفارس لا يُربط في الإصطبل وإن كان جواده فيه"<sup>(٥٥)</sup>.

هنا شبه الرافعي لنا تشبيهاً ضمناً حيث شبه الفارس بالنفس والجسد بالجواد فكأن الفارس بالنسبة للجواد كالروح بالنسبة للجسد، كما أن للنفس أمالاً وطموحاً لا يستطيع الجسد أن يستوعبها ويفهمها؛ لأن للنفس حظوظاً يجهله الجسد، وإن كان الروح فيه، كذلك الفارس والجواد، وإن كان الجواد هو القرين للفارس والحامل له والملازم له ولا يمكن له أن يكون فارساً بدون جواده؛ كما أن الروح من شروط بقائه في الدنيا أن يلازم جسداً سليماً. ولكن هيهات لما بين الروح والجسد، والفارس وجواده.

### الخاتمة

(٥٠) العاكوب، المفصل في البلاغة، ٤٢٣.

(٥١) الرافعي، المساكين، ٥٧.

(٥٢) الرافعي، المساكين، ٦٠.

(٥٣) الرافعي، المساكين، ٦٢.

(٥٤) الرافعي، المساكين، ٨٣.

(٥٥) الرافعي، المساكين، ٨٧.

وفي ختام هذه الدراسة التي تناولت الصورة التشبيهية في كتاب المساكين للرافعي يمكن استخلاص أهم النتائج التي توصلت إليها:

أسلوب الرافعي في الكتابة حافل بالصور البيانية عامة والصور التشبيهية خاصة والتي يعصب عنها وحصرها، وله خيال خصب وأسلوب فريد في الإتيان بالتشبيهات، ويغلب عليها الغرابة.

يعد التشبيه التمثيلي، والبلوغ من أكثر التشبيهات ذكراً في كتاب المساكين.

استقراء جميع الصور التشبيهية من الكتاب تحتاج إلى دراسات واسعة ومطولة لأن للرافعي أسلوباً مليئاً بالصور؛ وليس بوسع دراسة كهذه أن تقوم بها، لذا اكتفت بنماذج عن كل نوع.

استطاع الرافعي أن يجسد لنا ما عليه حال بعض الأغنياء من الجشع والطمع بتشبيهات رائعة يعز الإتيان بمثلها إلا من أمثاله، وكذلك صور لنا معاناة الفقير وكريم صبره وسعة صدره بتشبيهات تجعلك تحس بإحساسهم وتآلم لألمهم، لذا قال عن الكتاب: لا يقرأه إلا مسكين.

تبينت من خلال هذه الصور التشبيهية مهارة الرافعي اللغوية بوصفه أديباً وشاعراً؛ فقد استطاع بكلمات موجزة وعبارات بليغة أن يعبر عن تجربته الحياتية التي ارتبطت بالواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والذوق العام الذي كان سائداً آنذاك.

الصورة البيانية تعد أداة الشاعر والأديب ليعبر بها عما يخالجه من مشاعر وما يخطر على باله من أفكار من خلال تجسيد الأحاسيس والأفكار بصور مادية محسوسة، وليس أدل على ذلك من كتاب المساكين.

### المصادر والمراجع

إبراهيم مصطفى، وغيره. المعجم الوسيط، دار الدعوة.

البيومي، محمد رجب. مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن. دمشق: دار القلم، ط ١، ١٩٩٧م.

الجاحظ، عمرو بن بحر. البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ٧، ١٩٩٨م.

الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر. مكتبة الأسرة.

الجرجاني، عبد القاهر. أسرار البلاغة، تح: محمود شاكر. القاهرة: مطبعة المدني.

الجبني، عبد الرحمن. البلاغة العربية. دمشق: دار القلم، ط ١، ١٩٩٦م.

الرازي، محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح، تح: محمود خاطر. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

الرافعي، مصطفى صادق. المساكين. القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م.

السكاكي، يوسف بن أبي بكر. مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢.

الشريف الجرجاني، علي بن محمد. التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري. بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٥هـ.

العاكوب، عيسى علي. المفصل في البلاغة. مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ٢٠٠٠م.

العريان، محمد سعيد. حياة الرافعي. مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ط ٣، ١٩٥٥م.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. الصناعتين في الكتابة الشعر. دار أحياء الكتب العربية، ط ١.

عكاوي، إنعام فوال. المعجم المفصل في علوم البلاغة. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٩٦م.

فيود، بسبوني عبد الفتاح، علم البيان. القاهرة: مؤسسة المختار للنشر، ط ٤، ٢٠١٥م.

القزويني، محمد بن عبد الرحمن. تلخيص المفتاح. باكستان: مكتبة البشرية، ط ١، ٢٠١٠م.

ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. بيروت: دار صادر، ط ١.

هدارة، محمد مصطفى. علم البيان. بيروت: دار العلوم العربية، ط ١، ١٩٨٩م.

### Kaynakça

Mustafa, Ibrahim vd. *El-Mu'cam Al-Vasit*. Dar El-Da'va.

El-Bayoumi, Muhammed Rajab. *Mustafa Sadik Al-Rafi'i Fares Alkalem Tah Rayet El-Kuran*. Şam: Dar El-Kalam, 1. baskı, 1997.

El-Cahiz, Amr bin Bahr. *El-Beyan vel-Tebyin*. thk. Abd al-Salam Harun. Kahire: Al-Khanji Kütüphanesi, 7. baskı, 1998.

- 
- Al-Jurjani, Abdul Kahir. *Dela'il El-icaz*.thk. Mahmoud Shaker. Mektebet El-Ustra.
- El-Jurjani, Abdul Kahir. *Esrar El-Belağ*e.thk. Mahmoud Shaker. Kahire: Metbaa El Medeni.
- El- Habanki, Abdul Rahman. *El Balağ*e Al Arabiye. Şam: Dar Al-Kalam, 1. baskı, 1996.
- Er-Razi, Muhammed bin Ebi Bekir. *Muhtar Al-Sahah*.thk. Mahmoud Khater. Beyrut: Mektebet Lübnan Naşirun.
- El-Rafii, Mustafa Sadık. *El- Masakin*. Kahire: Mu'asaset Hindavi, 2012.
- Es-Sakaki, Yusuf bin Ebi Bekir. *Miftah Al Ulum*.thk. Naeem Zarzour. Beyrut: Dar El-Kutub Al-Ilmiyyah, 2. baskı.
- El-Sharif Al-Jarjani, Ali bin Muhammed. *El- Tarifat*.thk. İbrahim El-Abyari. Beyrut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1. baskı, 1405 H.
- El-Akouf, Issa Ali. *El- Mafsal Fel-Belağ*e. Mudiryet Alkutub vel Matbuat Alcamiye, 2000.
- El-Erian, Muhammed Saeed. Hayat Ar-Rafi. Mısır: Al Maktebe Al Ticariye Al Kubra, 3. baskı, 1955.
- El-Askari, Ebu Hilal El-Hasan bin Abdullah. Al Sinaatin fel Al Kitaba vel Aş-Şiir. Dar Ihya'a Al Kutub Al Arabiye, 1. baskı.